



دراسة ونقد لرواية

«المهزومون» لمخالف كراهب

بقلم فالح الخطيب

ومن وجدانه كل شيء إلا الانطباع بأنه حر ، خارج عن المجتمع يرتفع وراء الاسوار في السهول بينما الناس ، كل الناس ، ينفلقون بين اربعة جدران . ولكن الى متى يبقى الشباب الطبيعي جاثما فوق القمة مشرفا على ابعاد لا يقدر لغيره استشرافها ؟ ان شبابنا مخلص . يعيش فوق القمة لا لانه يرفض كل شيء اطلاقا ، بل لانه يهدف الى رفع الشعور قما بيضاء مزبدة بوهج المثل الجامعية ، انهم ليسوا يائسين او متخليين بل مكثرون يمزقهم سأم من السأم وضجر من الضجر ، اذ ان قلقهم وجودي صاخب ، وهذا طبيعي لان الجامعة اصبحت مصنعا للابطال تأخذهم ، تفسل قلوبهم بالثلج الابيض ، وتطلقهم يتحدون كل الاعراف والتقاليد العفنة . يتخلى بشر عن حبه التهومي لسميحه؛ وما تكاد تقع عيناه على سحاب المغربية الثائرة ، المتحللة « يعرفهم طبعاً . » حتى يجد فيها صنوه ، فيتشبت بها مقتاعا من وجدانه كل مجانبه او رضوخ للمجتمع القاسر؛ بل هو ، في ثورة كثورة سحاب التي قذفت وليدتها غير عابثة بمعاطفة الامومة ذاتها ، يضرب كل من ينال سحاب بلسانه ، ويلتصق بها ، ويصغي باعجاب ، شارد اللب . الى كلماتها يشربها ويعبدها . اذ ذاك ، وعندما تتراى له طريق يتحمل المسؤولية ، فيشتغل من كل يوم معظم ساعاته واحدا في الانهاك لذة ، وفي التخلي عن ضياعة ينتظر مكافأة لها .

غير ان سحاب ليست اخلاقية كيشر الذي حفت روحه بمثل طاهرة عذبة . وقد بدأ ذلك الاختلاف الدقيق يتناسل في روحه قاقا وضياء شديدا يحاول ان يكبته ، ويبقى ملتصقا الى موضوع اول اختيار له . ولكن الانفلات الشديد وراء كل حدود ، هو كالموت الذي هو انسحاب من الحياة وراء كل حدود . لقد نجا بشر من برائن المرض واصبح له قضية ، ككل الشباب العربي ، هي ان ينقذ من المرض كل مسلول ومريض . بينما سحاب كلها رفض غير هادف يكاد يصل حد الخلاعة . ولهذا كان مقدرنا لبشر ان لا يتزوجها وان راي فيها ، ما اختلط عليه بادىء الامر ، من انه مثال رائم لاحلامه المشرقة : تحرر هو في الواقع وراء كل احتشام ، واستهتار بكل قيمة اية كانت حتى الامومة والارتفاع الخير فوق الجسد . لقد واسى بشر ثريا ، ومسح دموعها ، على غير ما كانت تتوقم ، لانه اخلاقي ؛ بينما ارتمت هي في أحضان قائد السفينة في رحلتها الى القاهرة ، لانه رجل يشعرها بانسحاقها . وتترأى له « واحة » رقيقة ، عذبة ، محبة ، فيهرع

عندما كنت اهرع نحو السطور الاخيرة من رواية « المهزومون » ، وسمعت بشرا يعلن ، آخر الامر ، « لا بأس ... انه لم يبق مجال للانتظار » تردد في وجداني صوت محزون طالما ترجع في نفسي صداه ، « ها هو بشر يتخلص من الاسطورة . » وخيل الي ان « الاسطورة .. » عنوان اخر ناجح ايضا « للمهزومون . » فالجامعة باحلامها ومثلها اسطورة تصخب بدوافع انسانية رامزة مجردة غير ذات لحم ودم . بل هي فوق انسانية : اذ ان الحب فيها منقطع من كل اعتبارات اجتماعية؛ والوطنية اندفاع بدائي مستقيم نحو الخلاص؛ والتحرر من كل قيود ، تحرر كامل دائر على نفسه لان كل شيء مباح وثمانل . هي ارتفاع فوق كل قيمة وجودية من قبل شباب هم مشاريع شغيلة في خضم الحياة ، طافحين بتطلع جارف ، مبتهرين بالنور الدفاق ينصب على وجداناتهم المفتوحة للاحلام من الف مجتمع ، والف مستوى ، دون ان يكون لهم قدرة تكييف هذه المثل مع ضرورات المجتمع المتأخر المتناسل من عهود مظلمة بألف مسخ مشوه .

ولعمري انها لصدفة عجيبة كالحياة نفسها ان يكون اكثر الطلاب الجامعيين مراهقين ابدانا ، تنفتح مراهقتهم على عالم رحب ، متسع الابعاد يجدون فيه ما يبرر احلامهم المنقطعة عن كل ارضية ، على صفحات الكتب الصقيلة ، وفي النماذج البشرية يشدها هم واحد هو النجاح في الامتحان . ولهذا فهم يخلقون عالما منسجما انسجاما منطقيا رافضا كل تحد ، متناسين ، او بتعبير اصح ، غير مدركين بعقولهم البيضاء ان الحياة اشدد تعقيدا وتناقضا من كل ما يقرأون . وهم ، لذلك ، يرفضون رفضا لا هوادة فيه كل لحم ودم ، ويعيشون تجريدتهم المطلق ، خالقين من الاسطورة صورة نقية نابضة باشراق فذ متدفق ، كقصائد رومانسية عصماء . بشر « لا يؤمن بنظام لانه ينور لاقل مضايقة . » ولا يمكن ان يغفر لاي كان الا اذا احبه ؛ وهو يتطاير ، غير مستقر ، فوق القيم التي هي نزوع الحياة في وجدانه: يرى ، فينفذ ، فيفسل ، فيرفرف باجنته على قيمة اخرى ، يعب قليلا ، ثم ينطلق من جديد لا يشده قيد ولا يثقله هم ، متوجها ، عاطلا من كل تناقضات مجتمعه لانه يرفضها ، انه راض لانه وصل الى درجة اعتباره المجتمع صفرا ، لا غرورا وتعنتا بل لانه يرفض كل ما يتهدد صورته المكتملة التشويبه . يجلس في الليالي النائمة على رصيف خاو وينفخ في شبابته محاولا ان ينغم العالم وفق اهوائه ؛ ثم عندما ينهض مع افراد شلته ينفذ عن سرواله الفبار،

وقبح بكل ما في الانسان من جمال وقبح . ان الجمال لا يكون بغير اذواق تتأثر به وتعطيه ابعاده ، والجندي خليفة بأن تخلق حياة صاخبة في نزاعها الوجودي نحو الخلاص .

وبشر ، في اختياره الحندية على الفكر ، والجد على الضباية ، ابن دمشق ، تماما كما ان صالح هو ابن اللديدة الامين . ان صالح جندي بظفرته لان الافعى لا يزال ينز السم من انيابها في بلده ، والجامعة ، لصالح ، ليست عالما اسطوريا بقدر ما هي مصيف جميل يتسم النسائم الرقيقة من ذراه ، ويتزود للمعركة الكبيرة منه بكل ما يتزود منه الجندي في حانه : « امرأة نهدة الكفل والصدر ، ضعيفة الخصر والارادة ، » وفراش وثير ، وزجاجة فوارة دافئة . انه ضاحك ، تنفيذي ، جماهيري ودود لان الحياة الحرة من كل سوط هي صرخته . لا يفتش عن الحب لان الحب ترف برجوازي ، وقضيته بعيدة من كل ترف : انها الحياة ، مجرد الحياة العارية دون تهديد . ولئن كان صالح لا يطمع في الزواج كبشر ، فليس ذلك لانه متخل وحر حرية فارغة لا تجد موضوع اختيارها بل لانه يجد نفسه ملتزما بحياته ووجوده قضية حياة او موت تتضاعل ازاءها مشاكل الحب ، والاهتمام بكل تفصيل اخر . والواقع ان المشكلة في دمشق هي ، اصلا ، مشكلة تفصيل يجهد الشباب ، وينضح عرقا في محاولته ايجاد طرف الخيط والامسك به ؛ بينما القضية في اللديدة ، كبرى ترتفع فوق كل شيء . يولد الطفل جنديا هنا ، وقبل ان ينصرف الي لعنه ينطلق هاتفا او منكرا في كل مكان شأنه في ذلك شأن الشيخ والمرأة والشباب في كل مجال . ان صالح بدوي ساذج وفعال ، نقي القلب ، طاهر الفؤاد غير معقد لانه يعرف ما يريد بوعي او بغير وعي . لم يركن للراحة قط لانه لم يدق طعم الانتصار المادي ، وانتصاره هو ان يتابع تكريس حياته لقضية بلده جنديا فاعلا . عندما شبت الثورة في الخضراء ففز صائحا « المهم ان هذا حدث ، كي يثبت للعالم ان الدنيا لا زالت بخير . » ويتسلل تحت جناح الظلام الى اللديدة كخير جندي تاركا الشاعر يتلمس طريقه على مرسل ، والعاجز العقيم الى ضياعه وشروده الابله في عالم كل ما فيه نزاع ونضال يائسان . لقد اصبح الشاعر جنديا يخلد للرضى والاستقرار التابعين من النظام ؛ وهرع الجندي يصنع عالم الشعراء : كل الى طريقه يقطعها من التلة الوعرة . وفي القعر ترسب الحمقى يكتفون بتريد كلمات « نحن تافهون ؛ » التي يقيمون انفسهم بها رغم ضحالة ما تحويه من معان . فأمثال دريد وفائز ، وهما نموذجان للشباب العاظم من كل موهبة ، ليسوا شعراء او جنودا ؛ بل هم انصاف متعلمين يخشون انفسهم ، وبرهون شيئا ما غامضا في وجدانهم يشل ارادتهم عندما تحين اللحظة الحرجة . وهم لفرط ما يعتادون على هذا الاحجام الذي اساسه الجهل والعجز ، والذي يصبح طبيعة فيهم ، ينطسبون قلقين سلبيين ، ينسحقون ، فينهدرون ، ويشكون دونما اي مبرر . انهم يعززون سبب ذلك الى الاخرين . يحاول دريد ان يفتح قلبه لغيداء ويصارعها بجهه ، فيستخدم الادب لكي تفهم من الادب انه يحبها ، وانه متحرر ، وعندما يراها تجلس الى زميل اخر ، قد يكون شاعرا كبشر ، فتبسم له وتضحك باستفراق يكتفي بالتدبر

اليها لانها رمز امه محاولا ان ينتشلها من مرضها . ولكن امه ماتت ، وستموت كل ام « جذر الحب والظلم » . ويهجم المرض المعدي يقتل الحنان والنضاره ، والظلال الوارفة في وجه « نواحته » وتجف المياه ، فيحاول ان يسقيها من دمه كيما تتناول الاشجار ، ولكن للصحراء منطقها : تغافله ، متأمة بوحي من التقاليد المتعصبة العمياء ، وتسفح دم واحه تاركة له دمه يواجه به الجفاف والتحط . ان المجتمع الذي رفضه بشر هاجمه مرتين وفي كل هجوم ترك عليه اثرا : سلب سحابا منه ، وجفف واحته فبقي عاريا للسيط تلهبه من تحت ومن فوق ومن كل اتجاه . فما العمل اذن؟ الحب يموت وسط المستنقعات الاسنة وهو لا يحل مشكلة . الحب خير ، ولكنه حقيقي بقدر ما هنالك من شر . « الاسطورة » تجريد للانسان من ارضيته ، وبشر من الناس يستند الى الارض كي يبقى واقفا على قدميه . ولذلك تبته الاسطورة ، ويحشرج الشاعر في نزعه الاخير . اراد ان يحب رافضا ففاض الحب ، والتزم نثر الشفقة ، فسحق موضوع شفقتة بقسوة : واحب نريا حبا بريئا اول الامر ، متساميا بشهوته ، فانهى به الى الجسد ، وانتج الجسد بشرا آخر سيتعذب حتما . فلا مكان ، اذن ، الا للحياة خيرا وشرا « ان يعيش الانسان بكل ما فيه » ، كما قال هلال و « ان يلتزم النظام حتى يصبح غريزة . » فالنظام وحده هو الكفيل بمنحنا الرضى والاستقرار .

لقد كان هلال في الصفحات الاولى ، كبشر في الصفحات الاخيرة . عاش هلال ضياعه يوم كان في عمره الضبابي يفتش عن حب اسطوري لحبيبته هي « خصلة مجدولة من شوق قلبي ، لونت من وقد ايامي وحيي . » ثم صدم بشدة ، فتمزق ، واخيرا استطاع ان يجد الحل في نظام يتغلغل في كيانه غريزة صائعة ، على مهل ، ما هو اعظم من الحب : الانسان مصدر كل قيمة . وقد حاول ان يرشد بشرا ، ولكن الاخير شاعر اصيل غير جدير بالتقليد . انه رمز الشباب الطليعي . زرع ، وحصد ، فكان حصاده لا شيء اللهم الا عماء مشوشا ، واضطرابا في كل شيء يهدد النزوع الانساني للحياة بالتدمير والقتل . ولذلك هرع الى الجيش يتجنده وينفذ من الفوضى الروحية التي كان يعيشها . ان كمال الصورة في ذهن حاله شيء لا يجد ، خير منها جمال

هل قرات رواية

هل تحبين برامس ؟

لفرانسواز سلافان

منشورات دار الاداب

« لست ادري ... اني احدها كثيرا ، واعتقد ان احاديثي طريه . الادب ، اسطورة الجندي عند فولكنر ، ومدارس النقد الحديثة ، برادلي وغيره ، موضوعات تستطيع ان تفهم منها طبيعة محدثك . ودوافعه ولكن تلك هي طبيعتهم . لن يفهمنا ابدا ، لو سكنت في فيلا فيسبقي ذهنها في الحرملك . » ويشير اليه بشر ان يصمت فيصمت قائلا ان الصمت احسن . وفائز صفيق ؛ ذلك لانه ليس من شلة غرائق كدريد ، ولو كان فائز هو عضو شلة غرائق الثالث لسمعناه يقول « بشر ، ما أشد التصاق هذا الحجر بالارض . » في ليلة شفاهه في شارع ابي رمانه .

والواقع ان هاني الراهب اخذ شلة غرائق ، واعطانا منها ثلاثة نماذج للشباب الجاهل عالجهم بصدق فني شديد الابعاء : بشر مثقف الجمهورية العربية المتحدة ؛ وصالح مثقف اللدودة ؛ ودريد الذي لا ينتسب الى ارض لانه مثقل الجدور ، لا شخصية له ، تصادمت في روحه كل التيارات بعنف فتركته خطاما مفكك الاوصال . ونموذج دريد تجده في كل مجتمع يثير اشمئزازك لانه لا يفعل ولا يفعل وما اكثر ما تجدهم في مجتمعنا الذي هو على بداية الطريق الذي اختاره من بين عديد من الطرق !!! ثم رسم السيد هاني الراهب بابداع هذه الدائرة مجتمعة مرة ، ومنفرطة اخرى يلاسهما المجتمع الذي تتحرك خلاله بحماسة كثيرة اشدها صميميه حماسات سميحه ، وواحه وغيداء وثرنا سحاب ، التي تقوس بعضها وارتسم على المحيط لبعض الوقت ، ثم اعتدل وانفلت غائبا في زحام الحياة ، او وحشة القبر . وهناك حماسات اخرى اقل صميمية لانها تلامس الفكر : جار بشر والمولد النبوي ؛ واهل بشر في اللاذقية ؛ والراعي ابو واحه ، والمهندس موفق مدير السكك الحديدية الذي تزوج سحبا .

ولقد كان الكاتب شديد الحذق ، اذ عمل ريشته فرسمت بلطف خطوط مجتمع كثير التعقيد ، تاركة لخيال القارئ دورا كبيرا في تظليلها وتلوينها كيفما يحلو للخيال ان يفعل . ولعل ذلك نابع من حقيقة فنية واحده هي ان « المهزومون » ترجمة حياة بشر الشاعر الفوضوي في فترة من فترات حياته ؛ قبلت على لسانه ، واعطيت الصور والمشاهدات عبر وجدانه ؛ تلاحقه في ندواته وروحانه . وان كان قسم كبير من مجتمعنا قد بقي خارج القصة دون علاج ، كما لمح لذلك البعض ممن قرأوا الرواية ، فذلك لان بشر طالب في الجامعة ؛ وللجامعي مجاله الخاص . ولم يشأ هاني الراهب ان يكسب بشرا اعمالا بطريقة تفوق مجال اهتمامه ، وتخرج وراء حقل تخصصه . غير ان بشر الشاعر شديد الحساسية لا يترك انطبعا نقلت منه دون ان يسجله ، وقد نقل الينا ما شاهده نقلا سريعا موحيا رائع الدلالة . لم يقع بين برائن السرد المضجر ، بل نقل الينا حفل المولد النبوي بأسلوب المتقزز ثم غير المكتوث ، وعندما بدأوا يرقصون رقصهم الصدفي العجيب اخذ بطرافة المشهد ، فضحكنا معه خلال أسلوب خلاب ، رافض اقامي ؛ ولكن الشاعر الرافض لم ينس نفسه وسط الزيف الذي كانوا يتلفعون به ، فأغانيهم كانت تنعكس على وجدانه تحسنا وجوديا للتناقض بين ما كان من ترهات مطت نفسها وعششت في عالم الصاروخ ، وبين ما هو كائن الان من تدفق عقلي

يفضح هذه الترهات . وعندما خرج كان مغميا عليه من شدة التفاهة التي تدفقت الى روحه ، ومن زخم التن الذي يفرق فيه هؤلاء المتدروشون . هذا ، طبعا ، يوحيه لنا بشر عبر الموقف فهو لا يسرده سردا او يدقق فيه لانه تافه جملة وتفصيلا ؛ بل هو يذكره لانه أنطبع به اذ كان موجودا من حوله في لحظة اراد ان يعيشها بحزم . بنفس القوة والابعاء صور الشيخ العنين الذي اتى الكائن كما يثبت لنفسه انه رجل ، يفرغ باب زوجته الهاربة « بعد دقائق استحال الى بضع كلمات غريزية تطالب في قليل من الجاذبية ، وكثير من الشناعة هذه المنكشة في غرفتها تشبه حياتها ... مضى الوقت بطيئا والشيخ لا يزال ينقر على الباب فيجاب بالصمت ، ويطلق نفسا يائسا . وينظر الينا في محاولة فاشلة ليبتسم . »

وبشر مثقف مثالي ، بالاضافة الى انه شاعر زاد في حساسيته السل الذي اصابه يوما . ففي الرواية بناء هائل من الرموز ينساب عبر الصفحات ، ويجسد وراء الكلمات مجتمعا كاملا . بكل ما للمجتمع من واقعية ثقيلة ، قاسرة ، قدرية في محاولته امتصاص البطل ورفسه باقدام سادرة عشوائية تتخبط في كل ساعة كاللوت يسحق كل خفق حياتي وافق . لقد كانت الساعة مثيرة للربح ؛ والقطار طاحن ؛ والمآذن تشق في تطاولها الحازم فضاء الاحلام ، فتغرس في قلب البهجة والانطلاق مسمارا يفتت نسيج الوجدان ، ويبس نسخ الحياة . ان ثقافة هاني الراهب قد جعلت « المهزومون » ملحمة ، بانورامية الصورة ؛ ففي كل صفحة كانت تنساب عبر الرموز ، وشفافية الاسلوب ، كأنما في موكب جنازي ، علوم شعب ، وتقاليد ، واهتماماته وتصوره الذاتي على كل ما اعتاد عليه ، واصبح له صفة القدسية في شعوره . فانت تسمع صياح المدينة المكتوم ، وواقعتها الطاغية عبر صفير يتوالى دونما انقطاع ، وترى قسرية حضارتها وركودها في قباب ترتفع هناك في القاع فوق كل احلام حياتية ، وترى انفلات الايام انفلاتا اكبر من كل ارادة عبر ساعة تتكثك على الجدار منكمشة ، حازمة ، حرده ، غير ان هاني الراهب وجد اخيرا انه رهب الساعة ، وجمد على احلامه ، حتى تقدم عليه الزمن ، وحقد على القطار وخافه على الرغم من انه هاديء يحتاج قليلا من الفهم ليصبح اليغا نافعا ينقل الناس ببلادة تامة الى مقاصدهم .

والرموز لم تكن في غير محلها ، او مقحمة اقحاما وراء كل شيء ؛ بل انها تتناسل من اللحظة النفسية تناسلا عفويا يعطي هذه اللحظة المسطحة ابدا عميقة يشعر القارئ ازاءها بالاعجاب اهذه القوة الواعدة في السيطرة على الموضوع ، ولشراكة الكاتب للشخصية الاولى مشاركة وجدانية ، نصف واعية ، خالقة تشف عنها الكلمات التي اختيرت اختيارا لتوافق نغما نفسيا هو كالتفصيل ينظم تنفسك ، ويجعلك تسترخي ، ينساب المعنى الى وجدانك كأنما انت في حلم سعيد . انه ليصعب اختيار امثلة في هذا المجال « فالمهزومون » قمة فنية تنبئ ان عقريا قد ظهر ، ونأمل ان يكون الشاب ذو الاثني والعشرين عاما هو بعض ما اعتمر به رحم تاريخنا المعاصر الحافل بالوعود الخلافة .

لقد قال جويس في الادب الرفيع انه ذلك الادب الذي يخلق في قوى نصف واعية ، وقال كامو ان الخلق الفني

صدر حديثاً

ليلة واحدة
قصة لكوليت خوري ٥٠٠ ق.ل

غرباء
قصة لسليم نصار ٢٠٠

العذارى
مجموعة قصص لتوفيق عواد ٢٠٠

آثار الشابي
لابسي قاسم محمد كرو ٤٠٠

اسمهان
تروي قصتها لمحمد التابمي ٣٥٠

ما هو الادب
تأليف : جان بول سارتر
تعريب : جورج طرابيشي ٣٠٠

ابن هانيء الاندلسي
عارف التامر ١٥٠

اقول لكم
شعر لصلاح عبد الصبور ٢٠٠

منشورات
المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر
بيروت - لبنان

جهد ، متصل ، طافح بالمعاطفة الصادقة يكاد يجعلها العقل مملدة مثيرة للإشمئزاز . ويخيل الي ان هاني الراهب قد كتب من تجربته هو متوجهة سيرية ، فبشر بوقه ان لم يكن هو ، وصورته ماثلة في ذهنه دائما كما هو الواقع ، ولئن كانت اعادة خلق شيء موجود اصعب بكثير من خلق الشيء ذاته ، فان صورة بشر لم تكن مكتملة تماما . نحن مثلا لم نعرف ما هو شكل بشر ، ولم نعرف كيف يبدو بشر في عيون الناس الاخرين ، او زملائه على الاقل . وان كان هاني الراهب ينفر من السرد فان السرد من هذه الوجهة كالرمز تماما يوضع بشرا في مجتمعه ، ويسلط انوارا على هذه الشخصية الرائعة تجعل القارئ يعي تكاتف الاشياء حوله ، والتي تجعله شاعرا يلتزم ، عس وعي ، اخر الامر ، قضية مجتمعه . بمعنى اخر ، كان بشر وعيا منسجبا فوق الاشياء يعطيها معناها وقيمتها . ولكننا كنا ندرك ، قليلا ، أحيانا حدود هذه الاشياء . لقد كان بشر رومانسيا في تلقيه كل شيء ، ولكنها رومانسية داعية استطاعت في كثير من المواقف ان تسمي لنا بدقة ما كانت تحط عليه وتنطبع به .

وليسمح لي صديقي هاني ان اضيف ملاحظة اخيرة على شخصية بشر . فهاني ، ولا شك ، قد قرا كثيرا من الادب الوجودي ؛ ادب اللحظة الحية ، المتحركة بكل من حاضر يفعل ، وماض يتدفق استمراريا ، ومستقبل ايدولوجي يوجه . هذا التشابك الوجودي لعناصر الزمان الثلاثة طبيعة انسانية ، تتدفق عاصفة في الازمان ، ويظهر الانسان اذ ذلك عمرا متازما في لحظة هي قمة ذلك العمر . وبشر رومانسي من هذه الناحية . او رؤية بشر ، بتعبير اصح . سحاب مثلا نائرة التزمها لانها كذلك ، ولكن ثورتها خليعة لا اخلاقية ، وقد اشرت لذلك سابقا . وقد اكتشف بشر ذلك بعد رحلتها الى الاقليم الجنوبي ، فأحس بضيق نما حتى جرفه نحو واحه ، ولكننا لم نر بشرا يتمزق ؛ واخته ليلي مسكينة ، ولكنها لم تطل في وجدانه لحظة واحدة ، وهلال زحل السي القاهرة ، وعندما وجد بشر الحل كما اراده هلال لم يتذكر هلالا ؛ لقد رايت بشرا يراقب الناس في الترام يصعدون وينزلون بعين رضيه ، او على الاقل غير مكترته ، ولا بد ان هذا الرضى جاء نتيجة لحريرة عنيفة ، وذهول كبير ، ولكنني لم ار بشرا يسائل نفسه الا قليلا وفي غير هذا المجال .

على ان مما يشفع لهاني الراهب هو انه آمن ، كما يبدو ، بالحدث واللمسات الدقيقة هنا وهناك وبخيال القارئ المستنار ، متعاونة للغوص وراء الشكل ، وللوصول الى الحل الاخير الذي هو قيمة الرواية كقمة فنية ووجودية . فان كان ذلك كذلك فلقد نجح الكاتب في تعبيد الطريق للخيال كيما يكشف زوايا نفوس ابطاله . انه لعمرى صادق صدق الحياة نفسها في اشد لحظاتها ذهولا وحساسية ، واكثرها تفتحا واعيا على مشاكل مجتمعا المناضل الصاعد .

دعني اضيف ، اخيرا ، بان «المهزومون» جعلتني اشد وثوقا من المستقبل ، وانها ، كما يبدو ، كالنظام الذي اختاره بشر تمنح الرضى والاستقرار ، اننا ننتظر المزيد من اديب الشباب البدع هاني الراهب .

فالح الطويل